Issue 6400-6402 Saturday-Monday 13-15/7/2019
الزمان – السنة الثانية والعشرون العدد 6400-6402 السبت–الاثنين 12 من ذي القعدة 1440 هـ 13-15 من تموز (يوليو) 2019م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/22. UK

النساء يعملن أكثر من الرجال في الخياطة وتجميل العرائس

آيزيديات حرمهن داعش من أزواجهن يناضلن لتأمين لقمة العيش

□ مخيم خانكه للنازحين (أ ف ب) – تحت خيمتها الضيقة ذات الإضاءة الخافتة، تمرر ليلى شمو قطعة قماش زهرية اللون بمهارة تحت إبرة ماكينة الخياطة، لتخيط طرفيها وتصنع منهما قطعة ملابس تتمكن بإجرتها من تأمين قوت لأسرتها التي اضطهدها تنظيم داعش في معقل الأيزيديين بشمال غرب العراق.

وبينما تقوم شمو بعملها في مخيم خانكه للنازحين في شمال غرب العراق، تلقي بين الحين والآخر نظرة على اسم زوجها، كيرو، الموشوم على يدها اليسرى. لا يزال زوجها في عداد المفقودين بعد خمس سنوات من اجتياح تنظيم داعش لمسقط رأسها في سنجار.

في ذلك الوقت، أقدم الجهاديون على قتل الرجال الأيزيديين بشكل جماعي أو خطفهم، وتجنيد الأطفال كمقاتلين، وبيع النساء في سوق النخاسة واتخاذهن سبايا واستعبادهن جنسيا، فيما فر من نجا إلى مخيمات النزوح البائسة.

لا زال هؤلاء غير قادرين على العودة إلى سنجار حيث دمر تنظيم داعش الحقول والبنية التحتية الزراعية التي كانت العمود الفقري لاقتصاد هذه الأقلية العرقية التي كان الجهاديون يعتبرون أبناءها "كفارا".

على غرار شمو، تسلمت النساء اللواتي حرمن من معيل لعائلاتهن، زمام الأمور في عائلاتهن، في ظل دعم ضئيل من الدولة، وكسرن بذلك أحد المحرمات في هذا المجتمع الصغير المغلق.

وتقوم شمو ببيع فساتين، وملابس لأطفال حديثي الولادة في المخيم، وأغطية وسادات مطرزة، مقابل دولارات قليلة. تستخدم آلة الخياطة وقطع قماش تبرعت بها منظمة "خالصا" الخيرية غير الحكومية التابعة لطائفة السيخ.

وتقول شمو، الأم والسبية السابقة لدى التنظيم المتطرف، لوكالة فرانس برس "لو كنت بقيت بلا عمل، لكان فكري مأخوذا طيلة الوقت بما فعله داعش بي، ولماذا زوجي ليس هنا، وأين طفلي، وأقاربي التسعة الذين ما زالوا في قبضة الدواعش".

وتضيف "بفضل مدخول آلة الخياطة، أعتني بابني وبنتَي، وبأختي وزوجها أيضا".

خطفت شمو بينما كانت حاملا في شهرها السابع، وأنجبت في الأسر، ثم فصلت عن زوجها وأطفالها.

أطلق سراحها مع ثلاثة من أطفالها، لكن زوجها واثنين من أولادها وأحباء آخرين، ما زالوا في عداد المفقودين.

وتقول شمو لفرانس برس "هم دائما في قلبي. مع هذه الوشوم، هم على يدي أيضا. أراهم حين أعمل".

وتستخدم شمو في عملها أقمشة خاصة بألوان زاهية وجذابة، وخصوصا للفتيات اللواتي أجبرهن تنظيم داعش على ارتداء النقاب الأسود من الرأس إلى أخمص القدمين.

وتقول "إن شاء الله عندما تعود ابنتي، سألبسها ألوانا زاهية أيضا بدلاً من الملابس السوداء"، إلا أنها هي نفسها تصر على أنها ستستمر في ارتداء اللون الأسود حتى يعود كيرو إلى المنزل "لأنني ما زلت في حالة حداد".

غياب الرجال واضح في مخيم خانكه. على مدى قرون عدة وفي جميع أنحاء العالم، تركت الحروب مجتمعات دون عمال رجال، وملأت النساء الفراغ. لكن انعكاس الدور له خصوصية كبيرة في مجتمع الأيزيديين المحافظ.

وتقول خبيرة الماكياج الثلاثينية في مخيم خانكه، أسيمة، "في السابق، كان من المعيب في سنجار أن تعمل النساء. أما الآن، فأصبح العكس. النساء يعملن أكثر من الرجال".

عندما اجتاح تنظيم داعش مسقط رأسها في العام 2014 قضت عائلة أسيمة نحو أسبوعين في العراء على جبل سنجار، قبل فتح ممر آمن للأيزيديين للفرار.

ومنذ ذاك الحين، تعيش أسيمة في مخيم خانكه حيث افتتحت قبل شهرين فقط صالون تجميل بمساعدة منظمة "جيندا" المحلية التي زودتها بمستلزمات الماكياج.

وتقول "عائلتي كانت في حاجة إلى معيل".

من أصل 550 ألف أيزيدي في العراق قبل العام 2014 هاجر نحو مئة ألف شخص إلى الخارج، ولا يزال نحو 360ألفا يعيشون اليوم في مخيمات النازحين بشمال غرب العراق، ولم يتمكن سوى بضعة آلاف فقط من العودة إلى سنجار.

ومن أصل 3300أيزيدي تحرروا من تنظيم الدولة الإسلامية على مدى السنوات الخمس الماضية، عشرة في المئة فقط هم من الرجال. أما الغالبية فمن النساء والفتيات اللواتي أجبرهن التنظيم على "العبودية الجنسية".

وبموجب العقيدة الأيزيدية، تصبح النساء، وإن مستعبدات، منبوذات من الطائفة إن تزوجن من خارجها.

لكن القرار التاريخي الذي أصدره زعيم الطائفة بابا شيخ في العام 2014 طالب بقبول النساء الناجيات العائدات ضمن الأقلية.

وطلبت أسيمة عدم استخدام اسمها الكامل وصورتها في ظل مجتمع لا يزال مغلقا الى حد كبير، مشيرة الى أن أسرتها لا تزال متحفظة على مسألة عملها بمفردها.

وتتواجد حوالى عشر نساء في صالونها تحضيرا لحفل زفاف، تتبادلن الأحاديث بصوت عال مسموع رغم صوت الموسيقى الكردية في الخلفية وصوت مولد الكهرباء الصاخب في الخارج.

وتتقاضى أسيمة نحو ثمانية دولارات على الماكياج، فيما يصل تصفيف الشعر إلى 35 دولارا إذا كان خاصا بحفل زفاف، إذ يحتاج وقتا أطول.

ويتحول الصالون الى أكثر من مكان عمل، فتأتي النساء لتمضية وقت استراحة من حياة الخيام أو لمشاركة قصص عن الفرار من تنظيم الدولة الإسلامية.

وتقول أسيمة "هذا مكان يمكن للفتيات أن يهربن إليه".

آيزيدية تعمل خياطة

مشاعر محطّمة وغسل أدمغة وسط تحذير غير مسبوق

أشباح الأسر لدى داعش تطارد أطفال الآيزيديات في العراق

□ مخيم خانكه للنازحين (العراق)، أ ف ب) – يسعى الأطفال الذين خطفهم تنظيم داعش الى التعافي من سنوات الأسر، بعد عودتهم إلى مجتمعاتهم المصدومة في العراق، وهم يعانون من غسل أدمغة ومشاعر محطمة.

وقد أنقذ العشرات من الأطفال الأيزيديين والتركمان خلال الأشهر الأخيرة، مع انهيار "الخلافة" التي أقامها تنظيم داعش في سوريا والعراق، مجندا فيها الأطفال ليقاتلوا ومستعبدا النساء جنسياً.

وتمّ لمّ شمل الكثيرين مع عائلاتهم، لكن تعافي هؤلاء الأطفال الذهني يتم ببطء بسبب طول فترة النزوح، وافتقار الموارد، والمحيط المعتاد على الخوف أكثر من التسامح، ووسط كل ما يذكرهم بالمعاناة التي عاشوها.

في العاشرة من عمرها، حاولت لمى مرارا الانتحار مهددة بطعن نفسها أو القفز من سطح مبنى مرتفع، بعد مرور أشهر قليلة على عودتها إلى العراق.

وتقول والدتها نسرين (34عاما) لوكالة فرانس برس "أخاف ألا تكون أبداً كالأطفال الأيزيديين الآخرين".

ويورد هذا التقرير أسماء مستعارة لحماية هويات المتحدثين.

وأمضت لمى نصف حياتها أسيرة لدى تنظيم داعش الذي أجبرها على اعتناق الإسلام والتحدث بالعربية بدلا من لغتها الكردية الأم.

وخلال زيارة وكالة فرانس برس لخيمتها في مخيم خانكه، بدت الطفلة منهمكة في لعبة إطلاق النار على هاتف ذكي مع ابني عمها فادي وكرم اللذين تحرّرا من داعش في الوقت نفسه تقريباً.

وعلى غرار الفتيين، ترتدي لمى ملابس سوداء، وأبقت على شعرها قصيراً. ويتحدث الثلاثة باللغة العربية مع بعضهم، وينتقلون إلى الكردية عند مخاطبة نسرين.

وتقول نسرين "ما زالوا مغسولي الأدمغة. عندما يشعرون بالملل، يبدأون في الحديث عن رغبتهم في العودة إلى داعش"، مشيرة إلى أن أي اخصائي نفسي لم يزرهم.

وتقول ليلى علي من منظمة الطفولة التابعة للأمم المتحدة (يونيسف)، إن كل جيل في العراق تقريباً، طاله نزاع ما، وهو ما يمثل تحدياً "غير مسبوق".

ولا تعرف اليونيسف بالضبط عدد الأطفال الذين تم تجنيدهم، وعدد الذين عادوا أو مكان إقامتهم.

وتشير تقديرات المنظمة إلى أن طفلاً خُطفوا على أيدي 1324 عناصر مسلحة في الفترة ما بين كانون الثاني 2014 وكانون الأول/ديسمبر 2017 حين أعلن العراق "النصر" على تنظيم الدولة الإسلامية، لكنها تتوقع أن يكون العدد الحقيقي أعلى من ذلك.

ومن بين الذين أطلق سراحهم خلال السنوات الأخيرة، يعيش العشرات في دور أيتام أو ملاجئ في بغداد، والموصل، المعقل السابق للجهاديين، ومنطقتي شيخان وسنجار، معقل الأيزيديين بشمال العراق.

وهناك آخرون متهمون بالانتماء لتنظيم الدولة الإسلامية قيد الاحتجاز، يحصل بعضهم على دعم نفسي على شكل إعادة تثقيف ديني. لكن الغالبية العظمى تنشأ بلا متابعة ولا علاج في مخيمات العراق التي تستضيف 800 ألف طفل.

وتقول الطبيبة النسائية الأيزيدية نغم حسن التي أصبحت اخصائية علاج غير رسمية للناجين بسبب نقص الموارد، "لا يوجد اخصائيون نفسيون في دهوك".

وتضيف أن نحو 12 مجموعة تنفذ برامج نفسية اجتماعية عامة في المخيمات من دون نتائج تذكر.

ويطالب رجل الدين الأيزيدي بابا شاويش الوكالات الدولية بتعزيز الخدمات، قائلا إن تلك المنظمات "تزعم أنها تقدم الدعم الذهني، لكن هل تعتقدون حقاً أن شخصاً أمضى خمس سنوات تحت حكم داعش، سيعالج في غضون خمس دقائق؟".

ويضيف "هؤلاء يحتاجون إلى أيام وشهور لإعادة تأهيلهم".

وسيحتاج المجندون قسرياً إلى علاجات خاصة بحسب أعمارهم، وفق ما تقول ميا بلوم، الأكاديمية الأميركية التي تدرس قضية الجنود الأطفال.

وتقول بلوم "إنهم بحاجة إلى إعادة تلقين لهويتهم الدينية".

وسيتطلب ذلك جهودا كبيرة من المجتمعات نفسها التي ما زالت ترهبها فكرة التنظيم، وغالباً ما تعامل الأطفال الذين تم إنقاذهم كجهاديين في طور الانتظار.

ولمواجهة ذلك، تستضيف اليونيسف ورش عمل مع الزعماء الدينيين والعشائريين، للتأكيد على أن الأطفال هم أولاً وقبل كل شيء، ضحايا تنظيم داعش.

وتلفت علي إلى أن "أحد أكبر التحديات في إعادة تأهيل وإعادة دمج الأطفال ليس في تجارب الأطفال، بل في التصور السلبي لدى البالغين من حولهم".

وبعد خمس سنوات من اجتياح داعش للبلاد، تبدو الأقليات وكأنها تواجه وحدها الشياطين التي تطارد صغارهم.

وتقول نسرين التي بقيت عامين سبية لدى تنظيم الدولة الإسلامية، إنها تتعامل مع نفسها بنفسها للتغلب على قلقها.

وتضيف "نحن في هذه الخيمة معاً ليل نهار. إذا تم إخراجهم لبضع ساعات في اليوم، يمكنني أن أستريح، ويمكنهم هم أن يتعلموا أشياء".

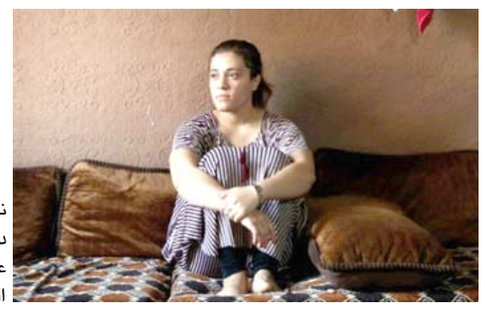
ناجية من اسر داعش بعد عودتها الى العراق

أطفال الناجيات معضلة دينية ودستورية

آيزيديات عراقيات رهائن الصراع بين صلة الرحم والإنتماء

□ بعدره (أ ف ب) – أرغمت جيهان، الأيزيدية البالغة 18عاما، على ترك أطفالها الثلاثة الذين أنجبتهم من زواج تمّ غصبا عنها مع عنصر في داعش، والعودة الى عائلتها، حتى لا يرذلها مجتمعها وطائفتها.

المعضلة ذاتها تعيشها عشرات النساء والفتيات الأيزيديات اللواتي حملن بأطفال من ارهابيين خطفوهن عام 2014لدى اجتياحهم منطقة سنجار في شمال غرب العراق حيث تعيش فيها غالبية من الطائفة الأيزيدية.

بعد استعادة القوات العراقية السيطرة على المنطقة المنكوبة، والهزيمة التي لحقت أخيرا بتنظيم داعش في سوريا، عادت نساء كثيرات كن سبايا الى عائلاتهن، لكنهن غارقات في اليأس والألم نتيجة جراح لم تندمل بسبب تعرضهن للاغتصاب والتعذيب والزواج القسري على أيدي عناصر في تنظيم داعش. وكذلك، يعيش عدد كبير منهن صراعا مؤلما نتيجة تخليهن عن أطفالهن، ذرية الارهابيين، المرفوضين بتاتا في المجتمع الأيزيدي المغلق.

وتقول جيهان قاسم، متحدثة عن أطفالها الثلاثة، صبيين وفتاة، في مبنى مهجور في بعدره حيث تعيش اليوم مع عائلتها المهجرة من سنجار، "لم أستطع أن أعيدهم معي الى البيت، فهم أولاد داعش"، مضيفة "كيف آتي بهم الى هنا، وأشقائي ما زالوا عند داعش؟".

كانت جيهان في الثالثة عشرة من عمرها عندما خطفها جهاديون لترغم بعد عامين على الزواج من عنصر تونسي في التنظيم المتطرف أنجبت منه ثلاثة أطفال، ثم فرت قبل أربعة أشهر معه برفقة أطفالهم إثر القصف الذي تعرضت له بلدة الباغوز في شرق سوريا والتي شكلت المعقل الأخير للتنظيم قبل انهياره.

عندما علمت قوات سوريا الديمقراطية المدعومة من الولايات المتحدة أنها أيزيدية نقلتها مع ابنها البكر وعمره عامان وابنتها وعمرها عام واحد وطفلتها الرضيعة، الى ملجأ لاستقبال الأيزيديين معروف باسم "البيت الإيزيدي" في شمال شرق سوريا.

ونشر "البيت الأيزيدي" صور جيهان على مواقع التواصل الاجتماعي، فتمكن شقيقها الأكبر سامان الذي ما زال متواجدا في شمال العراق من الوصول الى شقيقته والعودة بها الى أسرتها.

لكن ثلاثة أشقاء آخرين لجيهان لا يزالون في عداد المفقودين منذ سيطرة الجهاديين عام 2014على قريتها في شمال العراق.

عانت جيهان كثيرا قبل اتخاذ قرار العودة، واضطرت الى ترك أطفالها الرضع مع السلطات الكردية السورية.

وتقول بحسرة "إنهم صغار وكانوا متعلقين بي جداً، ... لكنهم يبقون أولاد داعش".

وتتابع "اليوم الأول كان صعبا، لكننا ننساهم شيئا فشيئاً"، مشيرة الى أنها لا تحتفظ بصور لأطفالها ولا تريد ان تتذكرهم.

ويرفض المجتمع الأيزيدي كل امرأة تتزوج من غير أيزيدي، حتى وان كانت مرغمة على ذلك. بالنسبة للفتيات اللواتي خطفهن الجهاديون، أصدر الزعيم الروحي للطائفة الأيزيدية بابا شيخ مرسوما تاريخيا دعا المجتمع الى استقبال وحضن الناجيات من الاعتداءات الجنسية على أيدي هؤلاء.

لكن الأمر لا ينطبق على أطفالهن.

في نيسان/أبريل، أصدر المجلس الروحاني الأيزيدي الأعلى بيانا غير واضح يرحب بـ"أطفال الناجيات"، ما أثار الأمل في حدوث إصلاح ثانٍ لقبول المولودين من أم أيزيدية وأبٍ من تنظيم الدولة الإسلامية. لكنه أدى الى ردود فعل عنيفة بين المحافظين الأيزيديين، ما دفع المجلس إلى التوضيح بأن شيئا لم يتغير، وأن الأطفال المولودين من أبوين أيزيديين هم فقط المقبولون ضمن الطائفة.

ويقول الناشط الأيزيدي طلال مراد إن إصلاحا بهذا الشكل كان يمثل فتح أبواب تغيير أمام مجتمع ما زال مصابا بالصدمة.

ويضيف مراد الذي يرأس موقع "أيزيدي 24"المتخصص بشؤون الإيزيدية "إذا حدث مثل هذا التغيير في الدين، ... سيحدث تشتت كامل في الديانة الأيزيدية".

ويقول مدير مكتب المجلس الروحاني الأيزيدي الأعلى علي خدر لفرانس برس إن النقاش حول الأطفال لا يتعلق بإصلاح عقائدي فقط.

ويضيف من مقر المجلس في شيخان "الدستور العراقي يمنع هذا الشيء أيضا (...)، أي طفل من والد مفقود أو غير موجود يسجّل أوتوماتيكياً كمسلم".

وينص القانون الإسلامي الذي يستند اليه الدستور العراقي، على أن الانتماء الديني للشخص يورث عن الأب.

كما يشير خدر الى تبعات نفسية، لأن المجتمع الأيزيدي لا يمكن ان يتقبل أطفالا من داعشيين خطفوا واغتصبوا بناته.

ويتابع "لدينا حتى الآن ستة آلاف ضحية – فتيات ونساء أيزيديات – بيد الدواعش، ما من أحد يسأل عنهن، فيما يسألون عن أطفال على عدد أصابع اليد".

ولا تتوفر لدى المجلس إحصاءات عن عدد الناجيات الأيزيديات مع أطفال من آباء دواعش.

وتركت معظم الأمهات الأيزيديات أطفالهن لدى "البيت الأيزيدي" في سوريا. لكن بعضهن أحضرن أطفالهن معهم الى العراق ورفضن إجراء مقابلات صحافية بسبب حساسية الأمر.

وبعد أن أصرّت إحداهن على أسرتها للقبول بتربية طفلها الرضيع من أب مفقود، وعمره عام واحد، تخلت عن الفكرة عندما أدركت أنها لن تتمكن من الحصول على وثائق شخصية عراقية له بسبب عدم وجود والده.

ودفعها ذلك الى التخلي عن طفلها للتبني، حسبما تقول الطبيبة المشرفة على علاجها.

وفي حالة أخرى، وصلت في الربيع الماضي فتاة في الثامنة عشرة من عمرها الى العراق بعد إطلاق سراحها، وهي حامل في الأشهر الأخيرة من أحد الدواعش.

وتقول المساعدة الاجتماعية التي تشرف على حالتها، إن الشابة بقيت لأسابيع في منزل آمن دون علم أسرتها حتى أنجبت وأرسلت طفلها الى مكان بعيد قبل أن تلتحق بأقربائها الذين يعيشون في مخيم للنازحين.

وتقول مديرة شؤون المرأة والطفل في الموصل سكينة يونس إن خمسة أطفال من أمهات أيزيديات وآباء دواعش وصلوا العام الماضي الى دار أيتام الموصل.

ومن المرجح أن تكون تبعات التأثير النفسي لهذا الأمر طويلة الأمد.

وتبدو جيهان اليوم محطمة. فقد وصفت أطفالها قبل أسابيع فقط، لأحد كوادر الشؤون الاجتماعية بأنهم "لحمها ودمها"، قائلة إنها تشتاق اليهم.

وبينما كانت تتحدث عن أطفالها بقناعة بضرورة تركهم الى حد ما، كانت ابتسامة خجولة تعلو وجهها وهي تتذكرهم، وفي لحظة معينة، بدا وكأنها تبكي بصمت عندما ترك شقيقها المكان.

وتقول في تلك اللحظة "لو كان الأمر بيدي، بالتأكيد كنت سأجلبهم معي".

ويقول الأيزيديون إن الأحداث التي تعرضوا لها تمثل "إبادة جماعية"، مشيرين الى أنها الحادثة ال 74التي يتعرضون لها خلال تاريخهم.

ولا يزال مصير مئات النساء والأطفال والرجال المفقودين مجهولا رغم انهيار "الخلافة" التي أقامها التنظيم في مناطق سيطرته في سوريا والعراق، بعد معركة الباغوز في آذار الماضي.

ولجأ نحو 100 ألف شخص من الأيزيديين، أي قرابة خُمس عدد هذه الأقلية قبل الحرب، الى دول أجنبية.

فيما لا يزال 360 ألف شخص مشردين داخل العراق لأن قراهم ما زالت تحت الأنقاض.

وأصبح قضاء سنجار تحت سيطرة قوات مسلحة موالية للحكومة، تضربه الفيضانات خلال الشتاء والحرائق في موسم الصيف.

ويقول خدر إن "الإبادة الجماعية مستمرة".

ويلقي بابا شاويش، المشرف على معبد لالش الذي يعد أهم معابد الطائفة الأيزيدية، اللوم على الحكومة المركزية في بغداد.

ويقول "الحكومة الاتحادية في بغداد تعلم جيدا أن آلاف الأيزيديات ما زلن أسيرات، ولم تتخذ لغاية الان قراراً باعتقال أي شخص يحتفظ بأيزيدية، وهي غير متعاونة معنا".

واقترح الرئيس العراقي برهم صالح في نيسان مشروع قانون لتعويض الأيزيديين وطريقة لتحديد الوضع القانوني للأطفال المولودين من جهاديين، لكن البرلمان لم يناقشه حتى الآن.

وتجمع شخصيات بارزة في المجتمع على أن الخيار الأمثل لهؤلاء الأطفال وأمهاتهم هو الهجرة الى أوروبا.

وتقول النائبة السابقة الأيزيدية فيان دخيل إن "الموضوع معقد جداً، والحل الأنسب حاليا موجود خارج العراق. في تصوري، الحل هو هجرة النساء مع أطفالهن الى أوروبا".

جانب من تظاهرة لنصرة الناجيات من أسر داعش

الإستثمار في التعليم وعلاقته بالنمو الإقتصادي

أكدت تقارير اليونسكو أن هناك علاقة هامة ايجابية بين الاستثمار في التعليم والنمو الاقتصادي في جميع دول العالم، ووفقا لتقرير البنك الدولي فإن التعليم يحقق عائدات أكثر أهمية للمجتمعات الإنسانية، كما يؤكد البنك الدولي أن التعليم أحد العوامل الرئيسية لتحقيق النمو المستدام، والدراسات الحديثة تشير إلى أن سنة إضافية واحدة في التعليم تحقق نموا في الناتج المحلي بنسبة (7 بالمئة) وهذا يوضح أهمية الاستثمار في التعليم بصفة عامة والتعليم العالي بصفة خاصة.

ورغم اتفاق الكثير من الخبراء على أن السبب الرئيس لتدني مستوى التعليم يرجع إلى أن العراق لا ينفق ما يكفي على التعليم بصفة عامة، وعلى التعليم الجامعي وما فوق الجامعي بصفة خاصة، كما أنها تنفق على إن (ما يخصص على البحث العلمي هو نسبة تافهة جداً من ميزانية الجامعات الضعيفة أصلا) حيث جاءت حصة وزارتي التربية والتعليم العالي مجتمعتين ما نسبته 3.72 بالمئة من إجمالي الإنفاق العام في الموازنة الاتحادية لسنة 2019 وهذا بحد ذاته يعتبر عائقاً أمام تطور العملية التعليمية في العراق، إلا أن بعض من خبراء التعليم يلفتون النظر إلى أن هناك ثلاث أسباب رئيسة يمكن أن نذكر ها باختصار وهي:

غياب حريات البحث العلمي كجزء أساسي من تقييد منظومة الحريات العامة في العراق.

فبدون توافر حرية البحث وتبادل المعلومات يصعب أن يكون هناك بحث علمي وتطور فتقع الكارثة. وتردي جودة التعليم الجامعي، وما قبل الجامعي، بشكل عام.

وحصر الحكومات المتعاقبة ووزراء التعليم فيها التعيين في المناصب العليا في الجامعات العراقية على أنصارهم ومؤيديهم، بغض النظر عن معايير الجودة والكفاءة والإتقان والقدرة على نشر التعليم والمعرفة.

ولكي نطمأن المستثمر الوطني والاجنبي للولوج في الاستثمار في هذا القطاع ، فلابد للوزارة من اتخاذ خطوات اصلاحية وخطط واستراتيجيات ذات سقوف زمنية محددة ومراعاة:

إطلاق الحريات الأكاديمية. وإبعاد الجامعات عن التسييس. وإدارة ملف الجامعات والمراكز البحثية بشكل أكاديمي وعلمي.

وزيادة الإنفاق على الجامعات والبحث العلمي. والاهتمام بالتعليم ما قبل الجامعي. وربط فلسفة التعليم بالمفهوم الشامل للتنمية، وتهيئة المناخ ليكون جاذبًا. والمحافظة على الكفاءات والعقول. واستقلال الجامعات ماديًا وإداريًا. ورفع مكانة وكفاءة اساتذة الجامعات، واعتماد ضوابط ومعايير واضحة لترقيتهم، تعتمد على الموضوعية والشفافية والقدرة والكفاءة قد يسهم بتوقف الانهيار الكبير الذي يعانيه التعليم في العراق. ووضع معايير واضحة لاختيار رؤساء الجامعات ومساعديهم وعمداء الكليات ومعاونيهم، وكذلك رؤساء الاقسام العلمية.

اسماعيل محمود محمد

بغداد

شاب شارب بلا شاربْ

إلى عيادة الطبيب السريالي، دخلَ شابٌ ثلاثيني بحارسين، ومشية شَارب، ولهجة شاربْ، وصوتُ شاربْ، ورائحة مشروب مُعتَّق ملأت المكَان! الحارسان تقدحُ عيناهما شَرَراً، وكلٌّ يده عَلى السِّلاح باستعداد قتالي مئة بالمئة. قاعة الانتظار مُكتظَّة بالأطفال والنساء، وقف الشبابَ المُسلَّحون أمام سكرتير الطبيب الجالس بهدوء وهو يقول في نفسه ساخراً: تعرفون كل يوم أشقد أشوف مثلكم!

الحارسان ما َزالا يحيطان بالسكرتير، برقبتين كرادار بريمير الروسي (A-100) ينظران شَزَراً إلى المرضى الجالسين والواقفين، ولا همَّ لهم إلا ثمن ورقة الكشفية، وثمن الدواء المصروف! إحدى العجائز وابنتها الشابة، تنظران إلى الشباب المُسلَّح نظرات ساخرة وتتهامسان ضاحكتين! أحد الحارسين بثياب مدنيَّة وشارب مُستَعجل، ومسدَّسٍ بلوك أو أحدث، مربوط بصورةٍ ظاهرة ناشزةً فوق القميص، انتبهَ إلى العجوز السَّاخرة، قَصَفها بنظرة غاضبة جعلها تُطأطئُ رأسها لأكثر من دقيقتين، التزمت الصمت بعد ذلك إلى نهاية المسرحية. الحارس الثاني بثياب عسكرية غريبة جداً، عليها علامات وحروف أجنبية، تبدأ بحرفٍ السين، ونظرات أشدُّ غَرابةً.

شككتُ بانتمائه إلى قوات حرف السين، التي عادةً لا ترتدي ثياباً كهذه، ولكني لستُ ضمن قوت الانضباط العسكري، المختَّص وحده بمحاسبة المتقمِّصين الانتماء إلى قوت حرف السين شديدة الرَّهبة، والتي ربما لا تعرف أنَّ من صميم واجبها، محاسبتهم والتأكد من عدم انتشار المظاهر العسكرية واختلاطها بالمدنيين المَرضى خوفاً نَمَا بعد تجربةٍ مريرة وطويلة!

الحارس الذي يرتدي ثياباً غريبة، ويقوم بحركات غريبة، يذرع الممر الضيق جيئةً وذهاباً، بعيني صقر تجول في المكان بحثاً عن قنبلة موقوتة أو شابٍ مُشتبه به، وكم غريبٍ حَنَّتْ إليه غريبَةٌ!

وبعد حوادث غريبة ربما، في عيادة الطبيب، ومحاولات لإطلاق النَّار، والتلويح بثمن الحماية المُؤجَّل كما يفعل ترامب بصفاقة، علَّق الطبيب منذ شهور طويلة، ستَّ لافتات سريالية، على جدران قاعة الانتظار التي لا تتلاءَم مع مكَانته الطبيَّة وسمعته الكبيرة الشهيرة، اللافتة السريالية بعنوان بيضويَ وصبغة صفراء (ملاحظة) نصَّت: نظراً لطبيعة العمل من حيث صعوبة ضبطٍ وتنظيم الوقت وبرغم أننا نعمل ما بوسعنا لأداء عملنا على أكملِ وجهٍ ممكن.

فإذا كان لديك شعورٌ بالغضب لأيِّ سببٍ، فلا داعي لرفع صوتك وتفضَّل مشكوراً بانصراف وابتسامة، لأنَّك في مكانٍ للعلاج، وليس في الشارع. ونظراً لظروف العمل وبلا حرج، فإنَّ الطَّبيب يعتذر عن استقبال الشخصيات التالية:

1- مدَّعي الأهمية والمصالح اللامحدودة والوقت الضيق والقمَّاصين.

2- السَّادة أصحاب الصوت المرتفع والمنططين والمعترضين والمستعجلين دائماً.

3- السَّادة أصحاب النَّظريات الفلسفية الحالمين المتقوقعين.

مع خالص الاعتذار والإحرام والتقدير للسادة المحترمين. سقطَ حرف التاء من كلمة الاحترام سهواً في اللافتة.

وكتبَ أحدهم بخطِّ يده على إحدى اللافتات: استغفر الله وأتوب إليه. وودَدْتُ ولم أفعل وكَدتُ وليتني كتبت:

رابعاً: السَّادة المُدجَّجينَ بالبنادق والمسدسات والرمَّانات الدفاعية والهجومية والدخانية، هذه عيادة طبيب وليس أرض معركة!

خامساً: الشابُ الغاضبِ الشَّاربِ بلا شاربين وفي المعاركِ غَزالٌ شاربُ!

سادساً: شابٌ بلا شهادة وشاربين رقم ثمانية ويدين كجناحِ الصقر، ووشمٌ ظاهرٌ بكتابات مستهلكة عن حبِّ الوطن!

نسخة منه إلى رئيس مجلس النواب، لمفاتحة وزيري الدفاع والداخلية، لتفعيل إعمام وجوب احترام الحياة المدنيَّة، والتقليل من المَظاهر المُسلَّحة في المتنزَّهات وداخل عيادات الأطباء وفي المؤسسات الحكومية أثناء الدوام الرسمي!

عبد الكريم يحيى الزيباري

دهوك